

تفسير البحر المحيط

@ 457 لهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة من هلاك الاستئصال لما كذبوا رسلهم ،
فناسب أن ذكر أولاً من نزل عليه كتابه جملة واحدة ومع ذلك كفروا وكذبوا به فكذلك هؤلاء
لو نزل عليه القرآن دفعة لكذبوا وكفروا كما كذب قوم موسى . .
و { الْكِتَابِ } هنا التوراة و { هَارُونَ } بدل أو عطف بيان ، واحتمل أن يكون معه
المفعول الثاني لجعلنا . وأن يكون { وَزَيْرًا } والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان في
الزمان الواحد أنبياء يوازر بعضهم بعضاً ، والمذهب إليهم القبط وفرعون . وفي الكلام
حذف أي فذهبا وأديا الرسالة فكذبوهما { فَدَمَّ رَوْنَاهُمْ } والتدمير أشد الإهلاك وأصله
كسر الشيء على وجه لا يمكن إصلاحه . وقصة موسى ومن أرسل إليه ذكرت منتهية في غير ما موضع
وهنا اختصرت فأوجز بذكر أولها وآخرها لأنه بذلك يلزم الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم . .

وقرأ عليّ والحسن ومسلمة بن محارب : فدمراهم على الأمر لموسى وهارون ، وعن عليّ أيضاً
: إلا أنه مؤكد بالنون الشديدة . وعنه أيضاً فدمرا أمراً لهما بهم بياء الجر ، ومعنى
الأمر كوناً سبب تدميرهم . .

وانتصب { وَقَوْمَ نُوحٍ } على الاشتغال وكان النصب أرجح لتق / م الجمل الفعلية قبل
ذلك ، ويكون { لَمَّا } في هذا الإعراب ظرفاً على مذهب الفارسي . وأما إن كانت حرف
وجوب لوجوب فالظاهر أن { أَغْرَقْنَاهُمْ } جواب لما فلا يفسر ناصباً لقوم فيكون
معطوفاً على المفعول في { فَدَمَّ رَوْنَاهُمْ } أو منصوباً على مضمرة تقديره اذكر . وقد
جوز الوجوه الثلاثة الحوفي . .

{ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ } كذبوا نوحاً ومن قبله أو جعل تكذيبهم لنوح تكديباً
للجميع ، أو لم يروا بعثه الرسل كالبراهمة والظاهر عطف { وَعَادًا } على و { قَوْمٌ }
 . وقال أبو إسحاق : يكون معطوفاً على الهاء والميم في { وَجَعَلْنَاهُمْ لَلنَّاسِ
ءَايَةً } . قال : ويجوز أن يكون معطوفاً على { الظَّالِمِينَ } لأن التأويل وعدنا
الظالمين بالعذاب ووعدنا { عَادًا } و { ثَمُودًا } و { قَوْمًا } * عِيدُ اللَّهْ *
بِلَادَةٍ مَّيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ * كَذَّبَتْ قَبِيلَاهُمْ قَوْمٌ نُّوحٍ
وَأَمَّ حَابُ الرِّسِّ } . قال ابن عباس : هم قوم ثمود ويبعده عطفه على ثمود لأن العطف
يقتضي التغاير . وقال قتادة : أهل قرية من اليمامة يقال لها الرس والفلج . قيل : قتلوا
نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود وقوم صالح . وقال كعب ومقاتل والسدي بئر بإنطاكية الشام

قتل فيها صاحب ياسين وهو حبيب النجار . وقيل : قتلوا نبيهم ورسوه في بئر أي دسوه فيه .
وقال وهب الكلبي { أَصْحَابُ * الرَّسِّ } وأصحاب الأيكة قومان أرسل إليهما شعيب أرسل
إلى أصحاب الرس وكانوا قوماً من عبدة الأصنام وأصحاب آبار ومواش ، فدعاهم إلى الإسلام
فتمادوا في طغيانهم وفي إيذائه فبينما هم حول الرس وهي البئر غير المطوية . وعن أبي
عبدة انهارت بهم فخسف بهم وبيدارهم . وقال عليّ فيما نقله الثعلبي : قوم عبدوا شجرة
صنوبر يقال لها شاه درخت رسوا نبيهم في بئر حفروه له في حديث طويل . وقيل : هم أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم) حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي أعظم ما يكون من
الطير ، سميت بذلك لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فج وهي تنقض على صبيانهم
فتخطفهم إن أعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوا حنظلة
فأهلكوا . وقيل : الرس هم أصحاب الأخدود والرس الأخدود . وقال ابن عباس : الرس بئر
أذربيجان . وقيل : الرس ما بين نجران إلى اليمن ألى حضرموت . وقيل : قوم بعث الله إليهم
أنبياء فقتلوهم ورسوا عظامهم في بئر . وقيل : قوم بعث إليهم نبي فأكلوه . وقيل : قوم
نساؤهم سواحق . وقيل : الرس ماء ونخل لبني أسد . وقيل : الرس نهر من بلاد المشرق بعث
الله إليهم نبياً من أولاد يهوذا ابن يعقوب فكذبوه فلبث فيهم زماناً فشكا إلى الله منهم
فحفروا له بئراً وأرسلوه فيها ، وقالوا : نرجو أن يرضى عنا إلهنا فكانوا عامة يومهم
يسمعون أنين نبيهم ، فدعا بتعجيل قبض روحه فمات وأصلتهم سحابة سوداء أذابتهم كما يذوب
الرصاص . .

وروى عكرمة ومحمد بن كعب القرظي عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن أهل الرس أخذوا
نبيهم فرسّوه في بئر وأطبقوا عليه صخرة فكان عبد أسود آمن به يجيء بطعام إلى تلك البئر
فيعيّنه الله على تلك الصخرة فيقلها فيعطيها ما يغذيه به . ثم يرد الصخرة ، إلى أن ضرب الله
يوماً على أذن ذلك الأسود بالنوم أربع عشرة سنة وأخرج أهل القرية نبيهم فأمنوا به) .
في حديث طويل . قال الطبري : فيمكن أنهم كفروا بعد ذلك فذكرهم الله في هذه الآية وكثير
الاختلاف في أصحاب الرس ، فلو صح ما نقله عكرمة ومحمد بن كعب كان هو القول الذي لا يمكن
خلافه